جامعة عمر المختار
مجلة كلية التربية- البيضاء
المجلد الأول- العدد الثاني الصفحات 196-225 2017

المِحْنَةُ وجَمَال الصّبر في قصة يوسفَ عليْهِ السلامُ (دراسةٌ موضوعيةٌ)

منير محمد علي الطشاني.

كلية التربية ـ درنة ـ جامعة عمر المختار

الملخص

يتناول البحث قصة يوسف القرآنية، وهي قصة تستمد مادتها من الوحي الإلهي، ولقد لفتت هذه القصة أنظار الباحثين، الذين رأوا فيها معيناً لا ينضب من الجمال والجلال، والبحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه عمل لا ينقطع، وتذوق الجمال في النسق القرآني بما يقدمه لنا من صور تتيح للنفس فرصة السمو بالأفكار والمشاعر إلى قداسة الرسالة القرآنية النبيلة، وهي القصة القرآنية الوحيدة التي جاءت في موضع واحد ولم تتكرر في مواضع أخرى، وهذه القصة تكشف لنا النقاب عن سر الإرادة والقدر وعن العناية الإلهية التي تخفى إلا عن من أتاه الله حساً مرهفاً وإيماناً عميقاً من وراء حوادث الكون، وقد قسمتُ هذا البحث إلى مباحث أفردتُ الحديث فيها عن قصة يوسف وما لاقاه من أنواع البلاء ومن ضروب المحن والشدائد من إخوته ومن الأخرين، وفي بيت العزيز وفي السجن، وفي تآمر الأخوة، حتى انقلبت المِحنة مِنحة، ونجّاه الله تعالى من هذا الضيق، والمقصود تسلية النبي – ﷺ –، وقد ذيّلتُ كل مبحث بعبر ومواعظ لابد أن يأخذها الإنسان بعين الاعتبار. وبالله التوفيق.

Abstract

The study focuses on the Quranic story of Joseph, this story derived from the reality and Divine Revelation. This story drew the attention of researchers, who saw a certain inexhaustible beauty , majesty, and the research in the Holly Quran and focus in the deep meaning is a continuous work , and the taste of beauty in the Quranic format, which provides us with images that allow the same opportunity to give thoughts and feelings to the holiness of the noble Quranic message, the only Quranic story that came in one place and not repeated elsewhere, reveals to us the mystery of the will and the power and the divine Providence, which is hidden only from those who came to Allah a sense of compassion and deep belief behind the events of the universe. I divided this study into parts about the story of Joseph and the types of affliction , cruelty and tribulations of his brothers and the others, , in the house of Aziz and in the prison, , and even in the brothers conspired, until the tribulations turned to grant, and Allah saved him from this narrowness , here

we mean to reassure the Prophet of Allah (Muhammad peace be upon him). I appended Heading with judgment and lessons that must be taken into our consideration.. And Allah reconcile.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إنّ البحث في القرآن الكريم وتدبر معانيه، عمل لا تنضب مادته ولا يقل زاده، وجهد لا تضيع مساعيه، ولا يخيب رجاء من خاض فيه، وسورة يوسف من السور التي تعتمد على القصص لتعليم الناس دروسًا في السلوك، واستخلاص العبر من تجارب الآخرين، فهي نموذج للآيات التي تتناول بالعرض المفصَّل حياة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وما لاقوه في سبيل الدعوة إلى الحق من متاعب وأهوال وأحزان، كما أنها نموذج للصراع بين الحق والباطل، وبين العقل والهوى، وبين المصالح الشخصية المبنيَّة على الأنانيَّة، وخدمة المصلحة العامة للأسرة والمجتمع والإنسانية، وهي أيضاً مثال واقعي يبيِّن كيف أن المظلوم قد يعامل كظالم، والبريء قد يصبح متَّهماً، وأن الشخص – مهما علا مقامه ومكانته – قد يُحكم عليه زوراً وبهتاناً، ويُودع السجنَ مع المجرمين!.

وتتجلى في هذه السورة الكريمة معاني عظيمة ودروس وعبر ومواضيع كثيرة نحن في أشد الحاجة إليها في هذه الأوقات، ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع الموسوم بـ (المِحْنَةُ وجميلُ الصّبْرِ في قصةِ يوسف عليه السلام (دراسةٌ موضوعيةٌ)).

أسباب اختيار الموضوع:

وتكمن أهمية هذا الموضوع والأسباب التي دعتنا إلى الكتابة عنه والانحياز إليه دون غيره ما يلي:

1. خدمة كتاب الله الكريم، باستخراج بعض كنوزه القرآنية منه، ودراستها دراسة موضوعية، لإظهار عظمة وإعجاز هذا الكتاب العزيز، وشموله لكل جوانب الحياة.
2. ارتباط هذا الموضوع بالقرآن الكريم و السنة النبوية ارتباطاً وثيقاً بل بعلوم أخرى كالعقيدة و الفقه و أصوله مما يجعله جديراً بالعناية و الدراسة.
3. إن من أسباب اختيار هذا الموضوع الدروس والعبر التي اشتملت عليها، وبخاصة مما تشتد حاجة الناس إليه في هذه الأوقات.
4. تناوُل الموضوع للجوانب التربوية والاجتماعية والدعوية، مما يعود بالفائدة على الباحث والقَارِئ.
5. مساعدة طلاب العلم وبخاصة المهتمين بدراسة علم التفسير على الإحاطة ولو بقدر يسير بهذا الموضوع توفيرا للوقت والجهد.

منهجية البحث:

تتبعتُ في هذا البحث المنهج التحليلي الاستنباطي الذي يتضمن تحليل المعاني والمفردات، واستخراج الفوائد والأحكام، مع الموازنة والترجيح.

أمّا الجانب الشكلي لهذا البحث فقد كان كالآتي:

1. اعتمدت في توثيق الآيات القرآنية على رواية حفص.
2. خرّجت الأحاديث من مصادرها بالرجوع إلى كتب السنة، بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث.
3. ذكرت معلومات النشر للمصادر والمراجع في بداية ورودها ثم بعدها اكتفيت بذكر اسم المؤلف وعنوان الكتاب، أو عنوان الكتاب فقط إن كثر استعماله أو اشتهرت معرفته.
4. ترجمت لمعظم الأعلام الواردة في البحث.

تسميتها وسبب نزولها:

هذه السورة هي السورة الثانية عشرة من سور القرآن الكريم في ترتيب المصحف، وآياتها مائة وإحدى عشرة أية؛ وأما عن تسميتها بهذا الاسم، فذلك لورود قصة يوسف فيها، ونحن إذا تتبعنا أسماء السور في القرآن الكريم نجدها تشير إلى أهم ما اشتملت عليه السورة، فالشطر الأعظم من هذه السورة احتوى قصة يوسف –عليه السلام– وإخوته [1].

والسورة مكية؛ والقرآن المكي له ظلاله وله أثره، والقرآن المكي يُعنى بالبناء وبالتأصيل والتأسيس، والقرآن المكي مرتبط بفترة صعبة، وهى فترة بناء وإعداد وتزود لبناء الدولة فيما بعد في المدينة المنورة، والسورة نزلت في عام يسمى عام (الحزن)، في أحلك الظروف وأشدها نفسية على النبي – ﷺ – كانت وفاة أبي طالب السند الاجتماعي، وأعقبة موت أم المؤمنين خديجة — رضى الله عنها – السند المعنوي في نفس العام الذى تُوفى فيه أبو طالب، في السنة العاشرة قبل الهجرة [2].

وأما عن سبب نزول هذه السورة فإنّ اليهود سألوا النبي – ﷺ – عن قصة يوسف فنزلت السورة، وقال سعد بن أبي وقاص[3]، (نزل القرآن على النبي – ﷺ – فتلا عليهم زماناً فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، يوسف، 1، تلا إلى قوله:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ يوسف 3، فتلا عليهم زماناً فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ الزمر، 23.

مناسبة السورة لما قبلها:

هذه السورة نزلت في وقت قريب من السورتين اللتين سبقتا في ترتيب المصحف والنزول، وهى سورة هود ويونس، فنزلت هذه السور الثلاثة في ظروف متشابهة[4]، فهذه السورة متممة لما فيها من قصص الرسل، وإثبات الوحى للنبي – ﷺ – وقد تكررت قصة كل نبي في أكثر من سورة في القرآن الكريم بأسلوب مختلف، ولأهداف متنوعة، بقصد العظة والاعتبار، إلا قصة يوسف –عليه السلام– فلم تذكر في غير هذه السورة،

وذكرت جميع فصولها بنحو متتابع شامل ، للإشارة إلى ما في القرآن من إعجاز، سواء في القصة الكاملة أو في فصل منها، وسواء في حالة الإجمال أو حالة التفصيل والبيان[5].

مقاصد السورة:

سورة يوسف تحمل في طياتها مقاصد كثيرة، ففي الوقت الذي كان يعاني فيه النبي – ﷺ – من الوحشة والغربة والانقطاع، جاءت هذه السورة تأنيس له وإعلامه بما لاقاه بعض إخوانه من الأنبياء والتثبت له في دعوته، باطلاعه على غيب لا يعرفه إلا الله سبحانه وتعالى، والتربية لاتباعه وجماعته، وفيها أدلة وبراهين على نبوة محمد – ﷺ – حيث قص عليه هذه القصة[6] المفصلة المبسوطة الموافقة للواقع التي أتت بالمقصود كله، وهو لم يقرأ كتب الأولين، ولا دارسه أحد كما هو معلوم لقومه[7]، فهذه السورة كأنها تهيئة للنبي –ﷺ– لمرحلة هو فيها، ومرحلة قادمة، فلما نزلت السورة تحدثت عن يوسف وأول الأحداث هي الابتعاد عن الأب ، وبيع بثمن بخس، وهي نفس الفترة كان فقد النبي–ﷺ– لعمه وزوجته، فهذا فَقْدٌ وهذا فَقْدٌ ، ويوسف –عليه السلام– ترك بلده، وهي تهيئة للنبي–ﷺ– لترك بلده.

مجمل ما عرضت له السورة:

افتتحت السورة الكريمة بثلاث آيات تمهيدية في ذكر القرآن وحُسن قصصه، ثم إلى تمام المئة بدأت ببيان منزلته عند أبيه يعقوب –عليه السلام– وصلته به، ثم علاقته بإخوته وتأمرهم عليه وهواتف الغيرة والحسد والحقد، وكيدهم له بمحاولتهم التخلص منه وإلقاؤه في الجب، ليصفوا لهم الجو عند أبيهم، ثم شراء السيارة له بثمن بخس، وبيعه لعزيز مصر، ثم قصته مع امرأة العزيز وبراءته المطلقة، بعد وضعه في السجن، ثم تأتي بوادر الفرج منطلقة من تعبير رؤيا الملك، وتوليته وزيرا للمالية ورئاسة الحكم، ثم اتيان إخوته إليه وشراء الطعام منه في المرة الأولي ومنحهم إياه بدون مقابل، ومنعهم شراء الطعام في المرة الثانية إن لم يأتوه بأخيهم (بنيامين)، وإبقاء أخيه بنيامين لديه في خطة مدروسة حتى يأتوه بأخيهم لأبيهم، ثم تعريفه لنفسه أمام إخوته، وإبصار يعقوب –عليه السلام– حين جاء البشير بقميص يوسف، ولقاء يوسف في مصر مع أبويه وجميع أسرته، وختمت بإحدى عشر أية في إيراد العبرة من هذه القصة، والاستدلال بهذه الآيات على ما أنزلها الله تعالى لأجله من إثبات رسالة خاتم النبيين، وتسليته، وبشائر الفرج بعد الضيق.

الدراسات السابقة:

1. تدبر سورة يوسف، د. ناصر العمر، ط 1 ، 1436 هـ . 2015 م ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
2. يوسف بن يعقوب عليه السلام منهج جديد لدراسة قصص الأنبياء والمرسلين ، أحمد عزالدين خلف الله، ط 1، 1398 هـ . 1978 م، نشر: مطبعة السعادة.
3. فوائد مستنبطة من قصة يوسف، عبدالرحمن السعدي، تعليق: أشرف بن عبد المقصود، ط 1، 1420هـ.

جامعة عمر المختار
مجلة كلية التربية- البيضاء
المجلد الأول- العدد الثاني الصفحات 196-225 2017

مناقشة النتائج

المبحث الأول:

حوار الابن مع الأب، وبداية المحنة: (محنة كيد الأخوة).

بدأت قصة يوسف –عليه السلام– بقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ يوسف4.5، أي: اذكر يا محمد لقومك قصة يوسف حين قال لأبيه يعقوب: إني رأيت في منامي أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر تسجد لي[8]، وكلنا يرى الشمس والقمر والنجوم، ولكن الذي يدهش أنه رأى الشمس والقمر والكواكب مجتمعات، وهذا فيه إعجاز، والإعجاز الأكبر أنه قال : "رأيتهم لي ساجدين ولم يقل رايتهم ساجدين" فقد رآهم قبل السجود ثم رآهم يسجدون له[9]، فيوسف –عليه السلام– يرى رؤية فيبادر بقصها على أبيه ولا يتردد، وقد علم أبوه أن هذه رؤيا إلهام، لا أضغاث أحلام... وأن يوسف سيكون له شأن عظيم وسلطان يسود به أهله حتى أباه وأمه وأخوته، فخاف الأب ولذلك قال : ﴿ قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ يوسف5، اللهم هذه محنة وخطب عظيم، فهم إخوته، فالأب يعلم أن الحسد قد يبعثهم على التحيل في إهلاك أخيهم، قال النبي – ﷺ – قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يَنْجُو مِنْهُنَّ أَحَدٌ: الظَّنُّ وَالْحَسَدُ وَالطِّيَرَةُ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُنْجِي مِنْهُنَّ ؟ قَالَ: "إِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحَقِّقْ وَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَامْضِ"[10]. فقد نهاه أبوه على قص هذه الرؤيا على أخوته، كما دل عليه قوله تعالي ﴿ قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ يوسف5، أي: لا تخبر إخوتك بما رأيت خيفة أن يحسدوك، وبذلك قال النبي – ﷺ – فيما رواه عنه معاذ بن جبل قال "استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان لها، فإن كل ذي نعمة محسود"[11].

حرص يعقوب –عليه السلام– على جمع القلوب:

استرعى يعقوب –عليه السلام– سمع ابنه بعبارة حانية محببة فقال ﴿ يَابُنَيَّ ﴾، فالنداء مشعر بنوع شفقة وحرص أبوي يناسب مقام النهي والتحذير، ثم قال:﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾، فيه دليل على فطنته إلى تصرفات وسلوك بنيه، فهو يعلم أحوال أبنائه من حوله، وبعد أن جعل ابنه ينتبه جعل سبب العداوة هو مداخل الشيطان، ووجوب التحذير منه، حيث قال: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ يوسف5، فقد بينت الآية أن يعقوب –عليه السلام– حريصٌ على جمع قلوب بنيه على المحبة والمودة، إذ بين يوسف –عليه السلام– أن هذا الكيد من الأمور الطبيعية التي يمر بها البشر لأنه عمل الشيطان، فهو يوقع العداوة والبغضاء بين أفراد الأسرة، ومن عداوته للإنسان وضع العراقيل أمام الدعوة والرسالة كي لا تستفيد الأمة من هداية المرسلين[12].

بيان البشائر، وبث الأمل في النفوس المكروبة:

وبعد أن نصح يعقوب –عليه السلام– ابنه، وحذره، بشّره إلى ما ينتظره من مستقبل مشرق، فقال: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ يوسف6، والاجتباء هو الاختيار؛ أي يختارك ويصطفيك لنبوته[13]، وكذلك: هذا تشبيه؛ أي مثل ذلك؛ –وهو أسلوب قرآني– أي مثل تلك الرؤيا التي أكرمك الله بها، يكرمك أيضاً بالاختيار للنبوة، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾؛ الأحاديث هي الرؤى، فما أجمل ما سمى القرآن الرؤى أحاديثا فكأنَّ عالم الغيب يحدثنا[14]، وبعد كل هذه البشائر لا يتصور أن يجلس يوسف –عليه السلام– ويفكر في مكيدة إخوته؛ وإنما سيلتفت إلى هذا الخير المقبل من اجتباء الله تعالي له وإتمام نعمته عليه، وهكذا اجتمع ليوسف –عليه السلام– شرف الرسالة والنبوة مع عراقة هذا الشرف فكانت الرؤيا أول أية له عليه السلام.

ربط الأبناء بآبائهم الصالحين:

البيت الطيب يخرج منه الابن الطيب؛ ولذلك حرص يعقوب –عليه السلام– على ربط ابنه بآبائه الصالحين، فقال تعالي ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ يوسف6، أي: يتم نعمته عليك باجتبائك واصطفائك[15]، للنبوة والرسالة والملك، وعلى أبيك وأخوتك، كما أتمها على جدك وجد أبيك، وقد قال يعقوب –عليه السلام– ذلك لما كان يعلمه من وعد الله تعالى لإبراهيم باصطفاء آلهِ وجعل النبوة والكتاب في ذريته، وهذه توجيهات أبوية صادرة من والد موصول بالله تعالي، ونبي يُوحى إليه[16].

وفي آخر الآية عرّفه ببعض أسماء الله تعالي وصفاته، وعندما تستقر هذه المعاني في نفس الصغير، فإنه سيتذكر عند كل ابتلاء أن الله تعالي الذي أحبه فاصطفاه هو الأعلم والأحكم، وأنه ما يمسه من بلاء إنما هو بعلمه وحكمته تعالى، فتطمئن نفسه ولا يلتجئ لغير العليم الحكيم[17].

ثم تحدثنا الآية السابعة وهي قوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ يوسف 7، عن الآيات الموجودة في سورة يوسف –عليه السلام– والدلائل على قدرة الله تعالي، وحكمته في كل شيء ﴿ لِلسَّائِلِينَ ﴾؛ أي لمن سأل عنهم، وعرف قصتهم، فيخبر الله تعالي أن في قصة يوسف –عليه السلام– آيات وعبر للذين سألوا محمد – ﷺ – عن قصة يوسف وأخوته، فهي دالة على قدرة الله تعالي وحكمته في كل شيء لكل سائل عن أحداث القصة، ودالة على صدق الرسول يوسف –عليه السلام– وغيره، وعلى ما أظهر الله تعالي في قصة يوسف من عواقب البغي عليه، وصدق رؤياه، وصحة تأويله، وضبط نفسه وقهرها، حتى قام بحق الأمانة، فذاك خبر عجيب يستحق أن يخبر عنه[18].

الحقد وأسباب العداوة التي زرعها الشيطان بين الأخوة:

إنّ الحسد والحقد يقلب محاسن المحسود مساوئ في نظر الحاسد، ويظهر له الأشياء في غير طبيعتها[19]، قال تعالى:﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ يوسف8، قالوا: ليوسف وأخوه شقيقه بنيامين أحب إلى أبينا منا فهو يفضّلهما علينا بمزيد محبة على صغرهما وقليل نفعهما، ونحن

رجال أشداء أقوياء[20]، ولقد لفت نظرهم هذا الحب الأبوي ليوسف وأخية، ولم يلفت نظرهم لأسباب هذا الحب ودواعيه، قيل لأعرابي: يظهر أنه أحكم من هؤلاء الإخوة أي ولدك أحب إليك؟ فقال: أصغرهم حتي يكبر، ومريضهم حتي يبرأ، وغائبهم حتى يقدم[21]، وكان هذا هو السبب في حب الأب ليوسف وأخيه، لأنهما صغيران، وهذه مسألة أوجدها الله تعالي في قلوب البشر، دون اختيار منهم... فالضعيف يتوجه إليه الحنان أكثر وهذه نراها في واقع الحياة، والابن الصغير أحب دائما إلى أبويه ممن هم أكبر منه[22]، وقد تشاور إخوة يوسف –عليه السلام– ووضعوا مقدمات فاسدة أدت إلى نتائج فاسدة، فقد افترضوا أن أباهم في ضلال مبين، ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يوسف 8، وهم لم يريدوا ضلال الدين، إذ لو أرادوه لكانوا كفارا؛ ولكنهم أرادوا ضلال الرأي في إيثار اثنين على عشرة[23].

ثم تصرفوا بناءً على هذا التصور وبدأوا بالجريمة ولم يتدرجوا وبدأوا بالأسوأ، ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ يوسف 9، فما أجرأهم على حرمات الله تعالي، فقد حاولوا الوصول إلى شيئين عظيمين بارتكابهم أبشع الجرائم وهي:

1 . زوال الحجاب الحائل دون التمتع بحب أبيهم، وهو الحب الذي يتصورون أن يوسف –عليه السلام– هو المانع دون تحقيقه.

2 . تحقيق صلاحهم المتوقف على التخلص من يوسف، وكأنّ وجوده يطارد وجودهم، وكيف يطلبون أن يُقبل عليهم أبوهم ويغمرهم بحبه بقتل ابنه الذي يحبه، فبهذا الفعل سوف يسودون عليه عيشه، بهذه الجريمة النكراء[24].

فكيف يطلب الإنسان الصلاح بالإجرام، حقاً لقد أعمتهم الغيرة من أخيهم عن إدراك هذه البديهيات.

الصبر الجميل على الأبناء:

يخبرنا القرآن الكريم أن هناك محاولات من هؤلاء الأخوة على التحايل على أبيهم، وهو صابر حيث يقول تعالي:﴿ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾ يوسف11، وهذه المحاولات كلها وهو يرفض ويوجس منهم خيفة، وهو كان يعرف وفطن لما يحاولون أن يفعلوه، وقد تحايلوا عليه وأقنعوه بالخروج معهم، ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ يوسف12، وقد وجدوا حجة ليأخذوا يوسف معهم فهو لا يصلح للرعي لأنه صغير، ولكنه سيلعب ويأكل من أنواع المآكل وهم سيحفظونه، ففيه إصرار منهم على فعل هذه المعصية وهى تركه في غيابت الجب.

فرد عليهم الأب الفطن بقوله:﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ يوسف13، فكأنما لقنهم حجتهم، فهي من ذكائه فأحس بشئ، فقد اعتذر إليهم بشيئين: ذهابهم به يجعل في قلبه حزنا عميقا، والثاني: خوفه عليه من الذئب إذ غفلوا عنه برعيهم[25].

ولكنهم غرّوه وخدعوه بالحلف حيث قالوا: ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ يوسف14، أي والله لئن اختطفه الذئب من بين أيدينا ونحن جماعة إنّا خاسرون خائبون، فقد أجابوه عما خافوه بما يرجون أن يُطمئنه، وبعد هذه المراوغة نجد الأب صابر على هؤلاء الأبناء في خدعاهم له[26].

وبعد ما ذهبوا به بعيداً عن أبيهم اتفقوا على إلقائه في البئر وعزموا على ذلك، أي عقدوا النية والعزيمة على إلقائه في البئر، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ يوسف15.

وفي هذه اللحظة العصيبة التي ليست بهينة وهم يخلعون في ثيابه ويهينونه جاء الوحي من الله تعالى؛ ليثبت يوسف قبل أن يصل مبلغ التكليف بالرسالة، قال تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يوسف15، فجاء وحي من الله تعالى بما فعلوه فيه وهم لا يشعرون، بأنه سيأتيه وحي منه سبحانه وتعالى ويقص عليهم نبأ ما فعلوه به، وهذا الوحي ليس وحي نبوة كما سيأتي بُعيد قليل، فالوحي هنا وحي تأنيس أي إلهام[27]، فهذا الإلهام من الله له حتى يؤنسه وهو يواجه هذه المحنة الصعبة.

وعندما طرحوا يوسف في الجب رجعوا إلى أبيهم وقت العشاء، ليواجهوه بانفعال نفس كاذبة، ولابد أن يكون هذا الانفعال مستورا بظلام الليل؛ لأنهم يعلمون أن أباه يحبه، وكان لا يأمنهم عليه، فالبكاء لم يكن عن حسن ونية صادقة ولكنه كان اصطناعي[28].

ولكن ليس كل باكٍ صادق، فعندما كان الشعبي في مجلس القاضي شُريح أقضى قضاة عصره، فقال: جاءت امرأة تخاصم في شيء وكانت مبطلة، فجعلت تبكى وقد نهنهها البكاء، وأظهر شُريح عدم الاهتمام والاطمئنان لدعواها، فقالوا يا أبا أمية... أما تراها تبكى؟ ما أظنها إلا مظلومة، فقال: يا شعبي، إنّ إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءاً يبكون وهم ظلمة كذبة[29].

وبعد أن تأخروا في المجيء وقت العشاء لكي يخفوا هذه الانفعالات قالوا كما يقص علينا القرآن: ﴿ قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ يوسف17، وقد جاءوا بالشيء الذي حذرهم منه يعقوب –عليه السلام– ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ يوسف17، فلم يرجع إليهم ولم يقل كلمة، فهو تصدير قرآني؛ كاد المريب يقول خذوني، فقد بادروا بالتشكيك فهم مريبون، وأشكالهم مخيفة، ومن وجوههم هم الذين فعلو هذه الجريمة، فأدرك يعقوب –عليه السلام– من دلائل الحال، ومن نداء قلبة، أن يوسف لم يأكله الذئب، وأنهم دبروا له مكيدة ماء[30]، فقد صبر يعقوب –عليه السلام– متجملاً لا يجزع.

وقد جاءوا بشيء ملفق لإقناع أبيهم بما كذبوه واختلقوه، حيث قال تعالى:﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ يوسف18، وهنا نرى تصبر وتجلد الأب وتحليه بالصبر، فعندما رأى قميص يوسف وهو غير ممزق، علم أن هذا فقط من اختلاقهم، فقال كما يقص علينا القرآن: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ يوسف18، أي سهلت وزيّنت لكم هذا الكذب وهو شيء قبيح، ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾؛ أي صبر لا شكوى فيه، فكأنّ هناك صبر ليس بجميل، فالصبر غير الجميل هو الذي فيه شكوى، فصبر يعقوب –عليه السلام– ليس فيه هلع ولا جزع، فهي محنة ليس له سبيل فيها إلا التحلي بالصبر الجميل[31].

الهدايات المستنبطة:

وبعدما تحدثنا عن هذه المحن التي تعرض لها يوسف –عليه السلام– مع إخوته لأبيه، وكيدهم له، وحسدهم الذي وصل بهم إلى التفكير لقتله لكي تخلوا لهم ساحة أبيهم؛ هذه بعض الفوائد المستنبطة من هذا المبحث:

1 . جواز أن يحذِّر المسلم أخاه المسلم مما يخافه عليه، وهذا ما فعله يعقوب –عليه السلام– مع ابنه عندما قص عليه الرؤيا، حيث قال الله تعالى:﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ يوسف5.

2 . ثم بين الأب سبب هذا التحاسد؛ لأن الأمر الطبيعي بين الأخوة ألا يكون هناك تحاسد، ولكن سببه مداخل الشيطان وكيده حيث قال: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يوسف5، فعداوة الشيطان لجنس الإنسان تحمله على أن يدفعهم إلى إضرار بعضهم بعض[32].

3 . حرص الأب على تربية ابنه على رد الفضل إلى أهله، قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ يوسف6، فالله هو الذي اجتباه، وهو الذي اصطفاه[33].

4 . الأخذ بالرفق أجلب للمحبة والمودة، فيعقوب –عليه السلام– حريص على جمع قلوب بنيه على المحبة والمودة، فقد بين لابنه أن هذا الكيد من الأمور الطبيعة التي يمر بها البشر؛ لأنه من عمل الشيطان[34].

5 .كذلك لا ننسى أن هذه الآيات دليل على صدق النبي – ﷺ – وأن القرآن وحي من الله تعالى، إذ جاء في هذه الآيات من لا يعلمه إلا أحبار أهل الكتاب دون قراءة ولا كتاب، وذلك من المعجزات[35].

المبحث الثاني:

من الحرية إلى رق العبودية:

يقول الحق سبحانه وتعالى:﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ يوسف19، لم يخرج يوسف –عليه السلام– من محنة البئر إلا ليقع في محنة الرق، فهو قدر الله تعالي امتحن به عبده ونبيه وهو لا يزال شاباً صغيراً، فقد جاء المكان قافلة تسير من مدين إلى مصر، فأرسلوا واردهم الذي يجلب لهم الماء للاستسقاء، قال تعالى:﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ يوسف19، والتنوين للتفخيم، وحق له ذلك، فقد قال النبي – ﷺ – ((إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ))[36]، فكان–عليه السلام– من أحسن الغلمان[37]، فاستبشر هذا الوارد لِمَا رأه من حسن وجمال يوسف –عليه السلام– وأخفوه عن الناس، لئلا يدعيه أحد من أهل ذلك المكان لكي يكون بضاعة لهم، وكل ما حدث لسيدنا يوسف –عليه السلام– ما هو إلا تذكير وتسلية لرسولنا الكريم –عليه السلام– قال المراغي: في هذا تذكير من الله تعالي لنبيه محمد– ﷺ – وتسلية له على ما كان يلقى من أقربائه المشركين من الأذى فكانه يقول له: أصبر على ما أتاك من الله، فإني قادر على تغيير ذلك، كما قدرت على تغيير مالقي يوسف من إخوته، وسيصير أمرك إلى العلو عليهم كما صار أمر يوسف –عليه السلام– مع إخوته إذ صار سيدهم[38].

ثم باعوه هؤلاءِ السيارة بثمن زهيد حيث يخبرنا القرآن عن هذه المحنة فقال تعالى:﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ يوسف20.

من البئر إلى القصر؛ في ذمة قطفير عزيز مصر:

قال تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا...﴾ يوسف21، من فضل الله تعالى وكرمه على يوسف –عليه السلام– أن الذي أشتراه هو عزيز مصر، فلم يشتريه رجل يهينه ويذله؛ وإنما أوتي من الفراسة والخبرة في معرفة الرجال، إذا أوصى امرأته بإكرام مثواه؛ فتضمنت هذه الوصية إكرامه وحسن معاملته في كل ما يختص بإقامته بحيث يكون كواحد منهم، وهذا سببه والله أعلم أنهم لم يكونوا ينجبون أولاداً كما هو واضح من الآية(39).

ومازالت عناية الله تعالى ولطفه بعبده تتزايد فقد قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يوسف21، "وَكَذَلِكَ" فهذا تشبيه أي مثل ذلك، فكما أنجاه الله تعالى من البئر ومن كيد إخوته مكّنا له هنا في أرض مصر؛ فمن الذي أنجاه؟ الله سبحانه وتعالى، ومن الذي مكّن له هنا؟ الله سبحانه وتعالي؛ فهو إنجاء عجيب، وتمكين غريب، وكل ذلك من صنع الله تعالى(40).

إذن كل هذه الأحداث التي أُبتلي بها يوسف –عليه السلام– من كيد الأخوة، وبيعه لعزيز مصر و إكرام مثواه، وما وقع له في السجن في ظاهرها أمور سيئة كما يظن كثير من الناس، لأنهم يأخذون الأمور بظواهرها، ولكنها عند التأمل وبما حدث ليوسف –عليه السلام– كما سنعلم بعد هذا الابتلاء أمور محمودة، ولذلك قال تعالي في أخر الآية: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف21.

هم امرأة العزيز، وبراءة سيدنا يوسف عليه السلام:

ما إن تخلص سيدنا يوسف –عليه السلام– من محنة كيد الأخوة وظنه أنه سيخلد إلى حياة هادئة في منزل حاكم مصر حتي جاءته محنة أكبر من الأولى؛ ذلك أن امرأة العزيز نظرت إلى يوسف فشغفها جمال صورته وجميل خلقة، فدعته إلى الفاحشة؛ ويخبرنا القرآن أن هذه الدعوة لم تكن في أولها صريحة بل كانت على مراحل إلى أن وصلت إلى المطالبة الصريحة حيث يقول سبحانه وتعالي:﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ...﴾ يوسف23، فالمراودة هي طلب بتمهل ولين وترفق ولطف من راد يرود أي ذهب وجاء، والمفاعلة هنا مصروفة عن وجهها، وهذا على حد مماطلة المدين، فالمماطلة ليست فيها مفاعلة فيقال: ماطل، والنبي– ﷺ – قال: "مطل الغني ظلم"(41)، فهي من وجه واحد، كما نقول أيضاً: داويت المريض فهي من واحدة فقط(42)، فهذا لا يمكن أن يكون فيه المشاركة من جانبين، ثم قال الله تعالى:﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾، وهذا التضعيف يدل على كثرة الأبواب ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾، أي هلمّ وأقبل، ولك هذا لبيان المخاطب، ولكن سيدنا يوسف لم يفكر ولم ينتظر لكي يفكر، فقد استهل بقول: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أي أعوذ بالله معاذاً، وأما قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ يوسف2، همت به، الهم خطور الشيء بالبال، وهمها هم مستحكم وهو هم عزم على مواقعة الفاحشة وهذا

متفق عليه، وأما همه هو فقد ذكر المفسرون أقاويل كثيرة في ذلك فمنهم من شط به القلم وزلت به القدم في اتهام سيدنا يوسف –عليه السلام– بأن هناك همٌّ منه أيضا ولكن هذا بعيد لعدة أسباب ونذكر منها:

محبة الله تعالى، فقلب الإنسان عندما يكون مشغولاً بمحبة الله فإنه يترفع عن هذه الأمور، يقول ابن تيمية: لما كان يوسف محباً لله مخلصاً له الدين لم يُبتلَ بذلك بل قال تعالى:﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، فالقلب المنيب يصرفه عن العشق إنابته إلى الله تعالي ومحبته له[43].

وهناك دليل من القرآن الكريم وهو أن يوسف لو مال إلى امرأة العزيز لم يقل منذُ البداية عندما راودته﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾، ثم بعد ذلك لماذا ذكرها بالرجل الذي رباه، ثم بسوء العاقبة، بقوله: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، فقد كان همها سابقاً لهمه.

وقد علق بعض المفسرين على اتهام سيدنا يوسف وردّ هذه التهمه ومنهم: أبي حيان حيث قال: "طَوَّلَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ هَذَيْنِ الْهَمَّيْنِ، وَنَسَبَ بَعْضُهُمْ لِيُوسُفَ مَا لَا يَجُوزُ نِسْبَتَهُ لِآحَادِ الْفُسَّاقِ. وَالَّذِي أَخْتَارُهُ أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ هَمٌّ بِهَا الْبَتَّةَ، بَلْ هُوَ مَنْفِيٌّ لِوُجُودِ رُؤْيَةِ الْبُرْهَانِ"[44].

الهدايات المستنبطة:

1 . تكميل يوسف –عليه السلام– لمراتب الصبر؛ فالصبر قسمان: صبرٌ اضطراري: وهو صبره على أذية إخوته، وما ترتب عليها من بعده عن أبيه، وصبره في السجن بضع سنين، وصبرٌ اختياري: وهو صبره على مراودة سيّدته امرأة العزيز مع وجود الدواعي القويّة من جمالها وعلو منصبها، ومع مراودتها إياه وتغليق الأبواب، ومع كل هذه الأمور المتاحة منعه الإيمان الصادق والإخلاص عن الوقوع في المحذور.

2 . الإخلاص في العمل سبب حب الله تعالى للعبد وحصول الخير له، وفي صرف السوء والفحشاء عنه، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس[45].

3 . ومن فوائد الآيات بيان أن الإحسان الذي وصف به يوسف –عليه السلام– سبب لأبواب الخير تفتح على المحسن، كما أنه سبب من أسباب إيصاد أبواب الشر.

الاعتصام بالله والفرار من الفتنة سبب النجاة:

قال تعالى:﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ يوسف 25، أي تسابقا إلى الباب هو للهروب وهي للطلب، وهروبه منها أخذٌ بالأسباب، ولأنه استعصم بالله تعالى وأخذ بما بين يديه من أسباب فيض الله تعالى له فرجا عاجلا فلقيا العزيز عند الباب، وفي هذا الموقف المروع تظهر قوة مكر الأنوثة وصمودها الهائل للدفاع عن كيانها، وبدهاء من هذه المرأة انقلب الوضع رأساً على عقب فصار المظلوم ظالما والظالم مظلوما وصار المريب برئ الساحة فقالت وبسرعه:﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ فهي ردة فعل عجيبة فصارت هي النقية الطاهرة الذيل وهو المعتدي المريب، فتساءلت مستنكرة واقترحت العقاب: ﴿ إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ففي هذا الموقف الخطير وكل أصابع الاتهام تتجه إليه. انتصب

للدفاع عن نفسه بسكينه ووقار وهدوء فقال:﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ يوسف26، فقد دافع من غير صراخ ولا اضطراب وإنما وقف وقفة الواثق في نفسه، وهذا دائما نجده عند الصادقين فقد قال النبي – ﷺ – "إن لصاحب الحق مقالا"(46)، فالحق دائما عنده ثبات وثقة، ثم كانت ملاحقتها وقدّ قميصه سببا في الفرج الأخر لما بهته، إذ تبين بالبرهان الدامغ أنه كان ضحية ولم يكن جانياً.

فبالرغم من كيد المرأة بيوسف بالاستعانة عليه لإيقاعه في الحرام بأمور مثل: كونه شاباً، وفي بلاد غريبة وأنها كانت ذات منصب وجمال، وأنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد، وأنها تواعدته بالسجن والصغار، وأن الزوج لم يظهر منه الغيرة والنخوة، ومع هذه الدواعي كلها آثر مرضات الله وخوفه وحمله حبه لله على أن يختار السجن على الزنا: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ يوسف33، وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه وإن لم يعصمه ربه تعالى ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه(47).

فقد فزع سيدنا يوسف –عليه السلام– إلى ربه فقد ناداه باسم الربوبية فقال ﴿رَبِّ﴾، التي توحي باستحضار النعم وتذكر سالف العناية والرعاية، فصار سيدنا يوسف إلى السجن، ومن هنا وبرعاية الله تعالى انقلبت المحن التي عاشها سيدنا يوسف إلى منح وعطايا من الله تعالى كما سنعرف ذلك إن شاء الله من المبحث الآتي.

المبحث الثالث:

الثبات عند المحن:

بعد أن ذكر – ﷻ– تحقيق زوجها في الحادث وحكم أحد أقاربها بما رأى، وقد استبان منه براءة يوسف –عليه السلام– وذكر أن الأمر قد استفاض في بيوت الوزراء والكبراء فأحبين أن يمكرن بها، لتريهن هذا الشاب الذي فتنها جماله، أذلها عفافه حتى حصل ما حصل، وقد حصل أن ضربت لهنّ موعداً لكي تريهنّ هذا الشاب، وقد حصل هذا الأمر وتورطت امرأة العزيز وصويحباتها في عشق صورته –عليه السلام–، وازداد الموقف خطورة بعد المجلس الذي أعدته امرأة العزيز لتكيد لهن كما كدنا لها، وعندما خرج عليهن أعظمنه إلى درجة جرحن أيديهن بالسكاكين فحينئذ قالت لهن:﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ يوسف 32.

وقد بلغ بامرأة العزيز العشق إلى درجة لم تجد معها غضاضة في التصريح علناً أمام النسوة أنها تراود فتاها عن نفسه، وإنه يستعصم منها حيث قالت: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ يوسف32، بل أعلنت جهراً أنه إن لم يرضخ لها ويستجيب لندائها ليسجننّ ويكوننّ من الصاغرين، فالجمال النسائي يعرض عليه، وقد جئن ومعهن السلطان والنفوذ، فالذي أُبتلى به يوسف –عليه السلام– أمرٌ لا يصبر عليه إلا من صبّره الله عليه، وكانت كل الأمور متاحة أمام هذا الشاب الفتي، ومع هذه الدواعي كلها فقد آثر مرضاة الله تعالى وخوفه، وحمله حبه لله تعالى على أن يختار السجن أحبُ مما يدعونني إليه، حيث قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ يوسف33، فالسجن إذا وفّر دواعي مرضاته تعالى كان أفضل من

مجتمع لا يوفرها، فَحَيَّ هلاً بالسجن، وأما الفاحشة فلا، فالفاحشة دونها الموت دونها السجن والعذاب، فهذا هو الموقف اليوسفي الكريم، فهو الذي يرقى بالعبد عند الله تعالى.

فقد آثر يوسف –عليه السلام– عاجل العقوبة والآلام على لذة الوصال المحرم، فاختار عقوبة الدنيا بالسجن على ارتكاب الحرام عندما قالت: ﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ يوسف32، ثم تبرأ إلى الله تعالى من حوله وقوته، وأخبر أن ذلك ليس إلا بمعونه الله وتوفيقه وتأييده، ففوض–عليه السلام– أمره إلى الله تعالى؛ ليصرف عنه مكرهنّ، وقد أعلن –عليه السلام– إن لم يكن التوفيق من الله يصبو إليهنّ أي يميل إليهنّ ويكون من الجاهلين قال تعالى:﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ يوسف32، وهذا من كمال معرفته بربه ونفسه، وقد استجاب الله له وصرف كيدهنّ، وما يدبر له لإخضاعه لهن[48].

احتيال امرأة العزيز بحيلة جديدة:

رأت امرأة العزيز أن من الحكمة هو سجنه، وذلك لإخفاء ذكره وكف ألسنه الناس عنها في امره، وأقسموا ليسجننّه حتى حين، وهذا يدلنا على أن النسوة كانت لهن اليد الطولى في هذا الاختيار، وهذا أول شيء هددت به امرأة العزيز.

وفي تنفيذ هذا العزم دلالة على مكان هذه المرأة الماكرة من سلطان على زوجها تقوده كيف شاءت، حتي فقد الغيرة عليها، فهو يجري وراء هواها، و يستجلب رضاها حتى أنساه ذلك ما رأى من الآيات وعمل برأيها في سجنه لإلحاق الهوان والصغار به حين أيست من طاعته وطمعت في أن يذلله السجن لأمرها و يقف عند مشيئتها[49].

وقبل أن نتحدث عن دخول سيدنا يوسف –عليه السلام– للسجن نقف على بعض الفوائد المستنبطة من قصة رفض سيدنا يوسف لهذه الفاحشة وإثاره دخول السجن:

1. ينبغي للعبد أن يلتجئ إلى الله عند خوف الوقوع في فتن المعاصي والذنوب، فلا يركن العبد إلى نفسه وصبره وحاله وعفته.

2. في إثار يوسف –عليه السلام– السجن عبرتان، الأولى: اختيار السجن و البلاء على الذنوب والمعاصى.

والثانية: طلب سؤال الله ودعائه أن يثبت القلب على دينه، ويصرفه إلى طاعته، وإلا فإذا لم يثبت القلب، وإلا صبا إلى الأمرين بالذنوب، وصار من الجاهلين ففيه توكل على الله و الاستعانة به بتثبيت القلب على الإيمان والطاعة[50].

3. فضل الإيمان الكامل واليقين والطمأنينة بالله وبذكره أوجبت لسيدنا يوسف –عليه السلام– الثبات في أموره كلها، والاشتغال في ما هو يصوره من وظائفه الحاضرة وهو في أحواله وتنقلاته مطمئن القلب ثابت النفس ليس عنده قلق لبعده عن أبيه وأحبابه [51].

4. من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه في الدنيا والأخرة، يقول ابن تيميه: (ومن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعزة في معصية الله كما فعل يوسف –عليه السلام– كانت العاقبة له في الدنيا والأخرة، وكان ما حصل له من الأذى انقلب نعيماً وسروراً[52].

5. تقديم اللذة الحاضرة الزائلة على اللذة الباقية الدائمة يوم القيامة من أعظم الجهل.

المبحث الرابع:

دخول السجن وقلب المحنة منحة:

قال تعالى:﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف36.

اتفق بتقدير الله تعالى دخول اثنين من خواص خادم الملك أحدهما ساقيه والآخر خبازه، وكانت تهمتهما أن الخباز كان قد تآمر على الملك، والساقي كان سيضع له السم في الشراب، وهذه هي الرؤيا الثانية في القصة، ولها دورها في تحريك الأحداث، من خلالها تم تعريف الساقي بيوسف وكانت هذه المعرفة وسيلة للوصول إلى الملك[53].

وقد نص القرآن الكريم على دخول الفتيين السجن مع يوسف –عليه السلام– وهو لون من ألوان اللطف في الابتلاء فدخولهما معه جعل بينهما نوعاً من أنواع المودة، ففي السجن تقترب النفوس من بعضها، يقول القشيري:(لصحبة السجن أثر يظهر ولو بعد حين فإنّ يوسف –عليه السلام– لما قال لصاحبه: ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾، فبقي يوسف في السجن زماناً، ثم إن خلاصه كان على لسانه حيث قال: فأرسلوا إلى يوسف وقيل له: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنا...﴾[54]، وكانت هذه المحنة هي آخر المحن التي ابتلاه الله بها، ولكنها كانت خيراً وبركة، فقد هجر مواطن الفتنه، وانقطع اتصاله بالخلق، وقوي اتصاله بربه، وصار السجن من وقت دخول دار حكمة، وحلقة للدروس والإرشاد.

استثمار الفرص، والاستفادة منها:

انتهز سيدنا يوسف –عليه السلام– فرصة لبثه في السجن ليبث عقيدته الصحيحة، فهو حريص على تبليغ دين الله تعالى، والدعوة إليه في كل فرصه، ويبدأ يوسف مع صاحبي السجن من موضوعهما الذي يشغل بالهما، فيطمئنهما ابتداء إلى أنه سيؤول لهم الرؤى، لأن ربه علمه، وذلك جزاء على تجرده لعبادته وحده، وتخلصه من عباده الشركاء، فيحاول كسب ثقتهما حتى يستمعا إليه ويأخذا بكلامه، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله تعالى، يحاول كسب ثقة الناس حتى يستمعوا له حيث قال: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ يوسف37، ونلاحظ قبل تفسير الرؤية سلك مسلك التبشير حتى تتهيأ النفوس للتفسير، ثم دلالة للفتيين على حقيقته حتي يأخذوا كلامه مأخذ القبول ويكون لقوله تأثير، يقول القشيري:(قدّم على الجواب ما اقترحه عليهما من كلمة التوحيد)[55]، فالطريقة إلى الدعوة

فيها لطف للدخول إلى النفوس، وكياسة في الحديث؛ وهذا الذي أخبركما به ليس من باب الكهانة أو تنجيم وإنما هو مؤيد من عالم الغيب ولذلك قال: ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ يوسف37، فهي آية له[56]، ثم ذكر التخلي عن الشرك بقوله: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ سورة يوسف37، وترك اتباع ملة القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا بالأخرة، وذكر التحلي بالتوحيد الذي هو دين أبائه وملة إبراهيم، وهو مدخل لطيف و خطوه خطوة في حذر ولين، ثم يتوغل في قلبيهما أكثر فأكثر، و يفصح عن عقيدته ويكشف عن فساد اعتقادهما[57].

التلطف في الدعوة ليس هو موالاة وقول باطل:

قال تعالى: ﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ يوسف39، هذه إضافة لأدنى ملابسة، فالرسول – ﷺ– يقول:" إنكنَّ صواحب يوسف"[58]، فالإضافة هنا سببها المماطلة ورددنَ عليه أمره غير مرة، فالنبي – ﷺ – غضب من ذلك فهذه صفه صواحب يوسف في المراودة ورد الأمر أكثر من مره، فصاحبي السجن أي: صاحبي في السجن أي صاحبي يوسف في السجن، وهذا نداء متلطف لصاحبي السجن يسألهما يوسف فيه سؤالاً تقريريًا هل الأرباب خير وأكثر تحقيقاً للسلام النفسي أم المربوبية لله الواحد بلا شريك، فلقد رسم يوسف –عليه السلام– بهذه الكلمات القليلة الناصعة كل معالم الدين، و كل مقومات هذه العقيدة، وهزّ بها كل قوائم الشرك هزاً شديداً.

وبعد أن نادهما بلفظ الصاحب استخدم مهارات الدعوة، فناقشهما نقاشاً عقلياً يؤكد لهما بطلان دينهما، واستخدام الفرصة السانحة في الدعوة، ومع ذلك لم تدفعه هدايتهم لاستعمال أي عبارة تدل على أدنى درجات الموالاة للكفار، وكان نبينا الكريم يعامل اليهود بالحسنى، وعقد معهم المواثيق، لكنه ما أشعرهم في يوم من الأيام بأنّهم على حق، ولا سعى في يوم للتقريب بينهم وبين المسلمين عن طريق التنازل عن شيء من الدين، وبعد ذلك النداء أكد أنه ليس هناك دليل على صحة دينهما فقال: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يوسف40، فهذه الآلهة التي تعبدون ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ولا صحه لكم في عبادتكم إياها[59]، ثم بعد أن عبر لكل واحد منهما رؤياه، ففسر رؤيا من رأى أنه يعصر خمراً أنه ينجو، وفسر رؤيا الأخر فيقتل ثم يصلب فتأكل الطير من رأسه، طلب من الذي ظنّ أنه ناجٍ أن يذكره عند ربه، حيث قال: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يوسف42، أي: سيده وهو الملك، وهو نوع من الأخذ بالأسباب التي تجعل السجن تلك المحنة منحة تحمد عاقبتها، ومن كان هذا شأنه حريٌّ به أن يتم له مقصوده[60].

المبحث الخامس:

رؤيا الملك سبب الانفراجة:

شاءت العناية الإلهية أن يخرج يوسف-عليه السلام- من سجنه بسبب شريف علمي، فقد آن للمظلوم أن ينتصر على الظالمين، وحان للحق أن يدفع الباطل، وإذا أراد الله شيئاً هيأ له أسباباً، فلذلك لما أراد الله إخراج يوسف من معتقله، وإسناد وزارة المالية وحاكمية مصر لعهدته، أرى الله الملك هذه الرؤية العجيبة، التي تأويلها يتناول جميع الأمة؛ ليكون تأويلها على يد يوسف؛ فيظهر من فضله، ويبين من علمه ما يكون له رفعة في الدارين، قال تعالى:﴿ وَقالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ ﴾ يوسف43.

إن رؤيا الملك التي رآها قد جعلته في حيرة من أمره فجمع من حاشيته أصحاب الشأن وقص عليهم ما رأى في منامه، وقد زاد ردهم السلبي الخوف والهلع في نفسه، فهي رؤيا عجيبة؛ فإنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهنَّ سبع بقرات عِجاف، وسبع سنبلاتٍ خضر يأكلهنَّ ويستولي عليهم سبع سنبلات يابسات ضعيفات، فهالته هذه الرؤية(61).

وعند ذلك تذكر الناجي منهما، الذي أوصاه يوسف بأن يذكره عند ربه، فنسيه إلى حينه هذا، قال تعالى:﴿ وَقالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾، يوسف45، فهتف الساقي كمن دبت فيه حياة بعد موت ! أنا أنبئكم بتأويله، ويهتف به الساقي يوسف أيها الصديق، وقص عليه الرؤيا التي رأها الملك، وقد بادر سيدنا يوسف-عليه السلام-بتفسير الرؤيا حيث قال: ﴿قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ... الآية ﴾ يوسف47.

ويمكن أن يستفاد من هذه الآيات الآتي:

1 . إذا أراد الله تفريج كرب إنسان جعل لذلك سبباً، يقول القرطبي: (لما دنا فرج يوسف رأى الملك رؤيا فنزل جبريل -عليه السلام- فسلم على يوسف وبشره بالفرج)(62).

2 . إن عدم اختيار البطانة الصالحة التي تحسن سياسة الدولة، وتحرص على مصالح الرعية من الأخطار لخطر عظيم على هذه الدولة.

3 . الأزمات والظروف الاستثنائية تحتاج إلى سلوك استثنائي(63).

فضيلة الحلم والأناة وعدم التسرع في الأمور:

بعد تعبير الرؤية من سيدنا يوسف -عليه السلام- وإعطاء خطة لتدبير هذه الحالة العجيبة؛ وبعد سماع الملك تأويل هذه الرؤية من الرجل الذي أُرسِلَ إليه وهو الساقي، طلب الملك الآن رؤية يوسف فقال تعالى:﴿ وَقالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ يوسف50، يريد أن يرى هذا الشخص الذي أُتِيَ بسطة وسعة في العلم، فلماء جاءه الرسول أبى أن يعود معه لرؤية الملك؛ وإنما لابد أن تثبت براءته، ويُفتح ملف قضيته من جديد ويُحقق في موضوعه

فيعرف الجاني من البرئ؛ فهذه ثقة في النفس فهو لا يريد أن يخرج بمنة من أحد ولكنه يريد أن يخرج ببراءته وبحقه[64].

فسيدنا يوسف –عليه السلام– يريد أن تتبرهن براءته وأن تثبت عدالة قضيته؛ يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث المخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:((يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي لأَجَبْتُهُ))[65]، يعجب النبيُّ ﷺ ويعجبنا من صبر يوسف وعفته وحرصه على صمعته[66]، وهذا الذي قاله النبي ﷺ من باب التواضع وهضيمة النفس، فهو أيضاً إذا وقع في مثل هذا الموقف لن يجيب.

وطلب سيدنا يوسف من الساقي أن يرجع إلى الملك ويسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن، ولم يذكر امرأة العزيز وفاءً لمن عاش في بيته سنين، ورجع الرسول إلى الملك فأخبره، عندها أحضر الملك النسوة يستجوبهنّ قال: ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ يوسف51، وقد بدأ محضر التحقيق الذي يديره الملك بنفسه وقد جمع فيه امرأة العزيز والنسوة، وتعيد النساء نفس الكلمة التي قيلت قبل سنوات أمام امرأة العزيز فيقلنَ: حاشا لله ثم يشهدنَ صراحة ببراءته دون أن يتهمنَ امرأة العزيز فيقلنَ ما علمنا عليه من سوء، ثم قالت امرأة العزيز: ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ يوسف51، أي بان وظهر فأنا التي أغريته ودعوته إلى نفسي وهو برئ من الخيانة، فكانت عاقبة تلك المراودة الندم وفواقها من غفلتها، واستشعار عظيم جنايتها في حقه[67]، ثم قالت:﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ يوسف52، وهذا من كلامها، أي في حال غيبته لا أكذب عليه وأقول أنا المجرمة وأنا المريبة وأنا التي راودته، وهو قول زليخا وليس من قول يوسف عليه السلام، وهذا لم يتفطن إليه كثير من المفسرين؛ لأن قولها لم أخنه بالغيب، العزيز يعرف هذا وأقام عليه شاهد، أي بينة لا ترد وقال لها: ﴿ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ يوسف29، ثم قال تعالى:﴿ وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ يوسف53، فهنا ينتظم الكلام ويكون من قول زليخا لا من قول يوسف، وقد ذكر ابن القيم وجوهاً تدل على ذلك فقال: (هذا من قول امرأة العزيز لوجوه:

أحدها: أنه متصل بكلام المرأة وهو قولها: (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۞ وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)، ومن جعله من قول يوسف فإنه يحتاج إلى إضمار قول لا دليل عليه في اللفظ بوجه ما.

الثاني: أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضراً وقت مقالتها هذه بل كان في السجن)[68]، قال الطاهر بن عاشور: (ظاهر ترتيب الكلام أن هذا من كلام امرأة العزيز، مضت في بقية اقرارها فقالت: ﴿ وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾، وذلك كالاحتراس مما يقتضيه قولها:﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾، من أن تبرئة نفسها من هذا الذنب العظيم ادعاء بأن نفسها بريئة براءة عامة فقالت: (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي)، أي: ما أبرئ نفسي من محاولة هذا الأثم لأن النفس أمّارة بالسوء، وقد أمرتني بالسوء ولكنه لم يقع)[69].

وما نستفيده من الكلام السابق ما يأتي:

1 . جعل يوسف براءته في المقام الأول وخروجه من السجن في المقام الثاني، فلم يكن طلب الملك والافراج عنه ليهمه بمقدار ما يهمه براءة ساحته(70).

2 . هذا الفعل من يوسف أناةً وصبراً وطلباً لبراءة الساحة، وذلك إنه فيما يُرْوى خَشِيَ أن يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن أمر ذنبه صفحاً، فيراه الناس بتلك العين أبداً، ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاه، فأراد يوسف أن يبين براءته، ويحقق منزلته من العفة والخير(71).

3 . إذا وُجهت تهمة للإنسان وهو بريءٌ منها لا يلام على طلب الطرق والوسائل التي يحصل بها الوضوح والبيان للناس، وهذا ما فعله سيدنا يوسف –عليه السلام– مع طول مكثه في السجن.

4 . لابد أن نكون على يقين بأن صاحب الحق منصور، ولنا مثال في سيدنا يوسف عليه السلام الذي لم يخشَ من النسوة أن يكتمنَ الحقيقة.

5 . مواجهة المتهم بجريمة تجبره على الاعتراف، فالملك ألقى التهمة مباشرةً، فهو مقتنع بما حدث، وهذا أسلوب يزعزع نفسية المجرم، فيجعله ينهار ويقر بالتهمة(72).

من السجن إلى الحكم:

سبحان الذي بيده الملك، وتدبير الأمر؛ بعد الانتهاء من التحقيق في أمر النسوة وظهور براءة يوسف –عليه السلام– بطلب الملك احضاره إليه من السجن حيث قال الله تعالى:

﴿ وَقالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ يوسف54، فإذا قضى الله أمراً فإنما يقول له كن فيكون، فما بال نفوس بعض المؤمنين يتطرق إليها اليأس؟ أليس الله تعالى أهلاً لحسن الظن؟ عندما وقف سيدنا يوسف بين يدي الملك بدأ التحاور(73)، قال تعالى:﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ يوسف54. فقد اختبر يوسف وتشاور معه، فظهر له وفور عقله ورجاحته، فقال الملك: ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ يوسف54، أي ذو مكانة، وأمين يدل على تمكن وصف الأمانة فيه.

وترتّب هذا القول على تكليمه إياه دالّ على أن يوسف عليه السلام كلّم الملك كلاماً حكيماً أديباً فلما رأى حسن منطقه وبلاغة قوله وأصالة رأيه رآه أهلاً لثقته وتقريبه منه(74)، لقد تبينت للمك براءة يوسف، وتبين له معها علمه في تفسير الرؤيا، وحكمته في طلب تمحيص أمر النسوة... كل ذلك أوقع في نفس الملك احترام هذا الرجل... فقد طلبه الملك ليستخلصه ويجعله بمكان المستشار والنجيّ والصديق(75).

ويمكن الاستفادة من هذا الحوار في النقاط الآتية:

1 . إن الحوار بين المتخاطبين يظهر معارف الإنسان وأخلاقه وآدابه وجميع شمائله، فيقدره من يعرف أقدار الرجال.

2 . إحسان يوسف عليه السلام وصبره على الطاعة وعن المعصية وعلى القضاء، وحسن تصرفه، كلها أسباب دعت الملك ليصدر قرار الاستخلاص من فوره.

3 . احتفاظ يوسف بكرامته وعزة نفسه، وقوة شخصيته، وترفعه على الدنايا؛ جعل المناصب تسعى إليه، وتكون بين يديه(76).

لقاء إخوة يوسف–عليه السلام– بأخيهم:

ذكر المفسرون أن سبب مجئ إخوة يوسف لأرض مصر هو ما أصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب أرض مصر من قلة المؤونة، فجاءوا للميرة (الطعام)، يقول ابن كثير: (إن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر، أن يوسف عليه السلام لما باشر الوزارة بمصر ومضت السبع السنين المخصبة، ثم تلتها السبع السنين المجدبة، وعم القحط بلاد مصر بكاملها، ووصل إلى بلاد كنعان وهي التي فيها يعقوب عليه السلام وأولاده، فحينئذ احتاط يوسف–عليه السلام– للناس في غلاتهم... ورد عليه الناس من سائر الأقاليم يمتارون لأنفسهم وعيالهم، ومنهم إخوته)(77)، قال تعالى:﴿ وَجاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ يوسف58، فكانت تلك الأزمة الاقتصادية، وذلك القحط ليجئ إخوة يوسف مرغمين إلى مصر يبحثون عن الطعام غافلين عن أخيهم.

وعندما دخلوا عليه عرفهم وهم لم يعرفوه؛ والسبب في ذلك قد يكون نسيانهم له بطول العهد، وتغير شكله إذ أنهم تركوه وهو صغير، وكذلك لم يعرفوه لهيبة الملك والحشمة والخدمة، وما كان من حاجتهم إلى بره وعطفه، فكل ذلك يحول دون التثبت من معارف وجهه (78).

ويبدو أن هناك محاورة دارت بينه وبينهم، وفي بعض تلك المحاورات ذكروا أن لهم أخاً، لأنه قال: ﴿ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ يوسف59، وقد كان يفرض للرجل حمل بعير، ولذلك قال لهم: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلا تَقْرَبُونِ﴾ يوسف60، أي إن لم تأتوني بأخيكم فليس لكم عندي بعد اليوم ميرة، وهذا أسلوب فيه ترغيب وترهيب، واللطف والترغيب، مع الحزم والترهيب من أركان القيادة الناجحة، فعند ذلك قالوا:﴿ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ يوسف61، وفي هذا إشارة إلى أن المسألة تحتاج إلى أخذ ورد، وأن الأمر ليس بسهل، وقد لا يستجيب لهم الأب، وقد خَشِيَ يوسف– عليه السلام– ألا يجابوا فأراد أن يجعل لهم سبيلاً أخر للرجعة، حيث يحدثنا القرآن الكريم أنه جعل خطة لاستقدام أخيه فقال تعالى:﴿ وَقالَ لِفِتْيانِهِ اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ فِي رِحالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَها إِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يوسف62، فقد وضع الثمن الذي جاء به الأخوة دون علمهم في رحالهم، وفي هذا إغراء لهم بالعودة وتشجيع لهم عليها(79).

أما الدروس المستفادة مما سبق فهي:

1 . المتأمل في هذه الحوادث، وما فعله سيدنا يوسف عليه السلام ومن تصرفاته نجد أنه يتصرف تصرف الطبيب في معالجة مرضاه ليستل من القلوب أسباب العداوة والبغضاء ويغرس في النفوس بذور الحب والسلام.

2 . نجد في تصرفاته قدوة لمن يواجه الانحرافات في الخلية الأولى للمجتمع ألا وهي الأسرة، كيلا يتخذ أحد من أفراد الأسرة الواحدة الانتقام وسيلة للتنفيس عما ناله من أذى [80].

3 . القيادي المخلص لابد أن يتابع مصالح الشعب بنفسه، فجلوس يوسف عليه السلام يراقب ويدقق في الأموال، دليلٌ على مؤهلات القيادي الناجح، يقول ابن عاشور:(ودخولهم عليه يدل على أنه كان يراقب أمر بيع الطعام بحضوره، ويأذن به في مجلسه خشية إضاعة الأقوات؛ لأن بها حياة الأمة)[81].

أخوة يوسف يطلبون من أبيهم أن يرسل معهم أخيهم:

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قالُوا يَا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ ﴾ يوسف63، رجعوا إلى أبيهم وقالوا مُنِعَ مِنّا الكيل؛ أي هددنا بالمنع منه في المستقبل، وهي مبالغة وجاءت بصيغة الماضي للتأكيد، قال ابن الجوزي: (إن المعنى يا أبانا يمنع مِنّا الكيل إن لم ترسله معنا، فناب (مُنِعَ) عن (يمنع))[82]، وقد جاء الرد من الأب كما يقص القرآن الكريم:﴿ قالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَما أَمِنْتُكُمْ عَلى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ يوسف64، فقد جاء الرد سريعاً على شكل استفهام استهجاني تعجبي، وبعد حوار يبدو أن الأب وافق على أخذ أخيهم معهم، وخاصة بعد ما فتحوا المتاع ووجدوا البضاعة قد رُدت إليهم، ﴿ قالُوا يَا أَبانا مَا نَبْغِي هذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّتْ إِلَيْنا ﴾ يوسف65، ما نبغي؛ أي ما نريد أكثر من هذا الكرم، أعطانا الكيل ثم ردّ إلينا الأثمان، فعندما نأخذ أخانا سنزداد كيل بعير، فيعقوب- عليه السلام - لما وجد البضاعة رُدت إليهم تبين له صدقهم، وبدا له شيء من إحسان العزيز فقرر أن يُرسل صغيره معهم بشرط ﴿ تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحاطَ بِكُمْ ﴾ يوسف66، أي عهداً بالحلف وأيماناً مغلظة لتردُهُ عليَّ إلا أن يحاط بكم؛ أي تهلكوا عن بكرة أبيكم وتموتوا جميعاً كم قال مجاهد [83]، قال الإمام البقاعي: كل ذلك زياد في التوثيق، لِما حصل له من المصيبة بيوسف -عليه السلام- وإن كان الاعتماد في حفظه إنما هو الله، وهذا من باب اعقلها وتوكل، فأجابوه إلى جميع ما سأل [84].

ويستفاد من هذا أمور هي:

1 . إن يعقوب-عليه السلام- سمح بإنفاذ شقيق يوسف مع باقي إخوته لأمور منها: إنه تفرس فيهم الصدق والإخلاص، ومنها: إنه ذهب عنهم نزق الشباب، والثالث: إن ليس بينه وبين هذا الأخ ما بينه وبين يوسف.

2 . رغم حرص يعقوب -عليه السلام-على اتخاذ الأسباب لئلا يسوّل الشيطان لابنائه أن يكيدوا ببنيامين، إلا أنه ما نَسِيَ أن الأمر بيد الله تعالى.

3 . جواز أخذ العهد المؤكد في الأمور، ولو على أقرب الناس كالأبناء مثلاً [85].

الإيمان يقوي من إيجابية الإنسان في الحياة:

مع إن جميع الأمور بقضاء الله تعالى؛ ولكن التقدير لا يمنع من الأخذ بالأسباب، بشرط أن يفعلها العبد وهو معتمدٌ على مسبِبها، وقد استعمل يعقوب-عليه السلام- المؤمن طاقته واحتياطه وأخذه بالأسباب بأقصى ما يمكن، حيث قال لأولاده: ﴿ وَقالَ يا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ يوسف64، فكأنّ يعقوب – عليه السلام – يخشى على أولاده من الحسد، وهو يستعذ بالله من ذلك، فقد أوصى أولاده أن لا يدخلوا مصر جميعاً من باب واحد، بل يوزعوا أنفسهم على أبواب متفرقة، لعدة اعتبارات، منها: كي لا يثير أي تحفظ نحو ابنائه من أي أحد في مصر[86]، وهناك احتمال آخر وهو البحث عن ضالة يعقوب -عليه السلام- ألا وهي يوسف فقد يجد أحدهم ابنه الذي ضاع منه، يقول القشيري:(يحتمل أن يكون أراد تفريقهم في الدخول لعلّ أحداً منهم يقع بصره على يوسف، فإن لم يره أحدهم قد يره الأخر)[87].

لقاء الأخ بأخيه بعد طول غياب:

يخبرنا القرآن الكريم أن إخوة يوسف عندما دخلوا عليه ورأى يوسف أخاه أخذه وضمه إليه، حيث قال تعالى:﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخاهُ قالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يوسف69، وكان يوسف متشوقاً إلى رؤية أخيه، وأراد يوسف أن يطمئن أخاه، لأنه لم يكن يدري شيئاً عن قصة يوسف والبئر، قال تعالى:﴿ قالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يوسف69، تنبيه من يوسف لأخيه أنك يا أخي يجب عليك أن تخلع الحزن وترمي البؤس ظهرياً؛ لأن ذلك كله لن يضرك فأنا أخوك يوسف الذي زعموا أن الذئب أكله، فها أنت ترى ما أنا في من عز وتمكين بفضل ذي القوة المتين؛ فعندئذٍ وجد بنيامين في يوسف أسوة وقدوة[88].

ويستفاد من هذا اللقاء ما يلي:

1 . أنه فيه دليل على جواز التناجي للمصلحة، وقد كان عرض يوسف -عليه السلام- تهيئة أخيه لما سيحدث فيستعد لذلك نفسياً.

2 . ظهور الحكمة التي قصدها يعقوب -عليه السلام- من دخولهم متفرقين إذ تمكن يوسف -عليه السلام- من تنفيذ خطته بالاتفاق مع أخيه الذي بدأ منه ما دلّ على سوء معاملة إخوته له فسرى عنه يوسف وطلب منه ألا يبتئس بما صنعوا معه فإن الله عزّ وجلّ جاعل له ولهم مخرجاً يكون فيه التئام شملهم جميعاً معه[89].

جواز استعمال الحيل ليتوسل بها إلى مصلحة أكبر:

لما قام يوسف -عليه السلام- بتجهيزهم جعل السقاية في رحل أخيه، حيث يخبرنا القرآن بذلك؛ قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ يوسف70، ويبدو أنه شيء يُسقى به، فعمل هذا العمل ليتوصّل به إلى بقاء أخيه عنده من غير شعور منهم، ثم طلبهم، فقال تعالى:﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ﴾ يوسف70، أي يا راكبي العير، وهي حيلة سمح الله تعالى بها ليوسف ليحتال بها، وهو

تصوير فني فقد بدأوا الرحيل ثم:﴿ قالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ يوسف71، أي: التفتوا إليهم وقالوا: ماذا تفقدون؟ قالوا نفقد صواع الملك! أي ضاع صواع الملك المرصع بالجواهر، والذي يرد إلينا هذا الصواع سنعطيه جائزة:﴿ وَلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ يوسف72، ضامن وكفيل، ثم حلفوا أنهم لم يأخذوا هذا الصواع الذي تتحدثون عنه، وإنهم بُراء منه، ﴿ قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَما كُنَّا سارِقِينَ ﴾ يوسف73، فقد نفوا عن أنفسهم الاتصاف بالسرقة بأبلغ مما نفوا به الافساد عنهم، وذلك بنفي الكون سارقين، دون أن يقولوا: وما جئنا لنسرق، وعلل الشيخ ابن عاشور ذلك بأن السرقة وصف يُتعيّر به، وأما الافساد الذي نفوه، أي التجسس فهو مما يقصده العدوّ على عَدوّه فلا يكون عاراً، ولكنه اعتداء في نظر العدوّ[90]، وبعد الحوار الذي يعد من الأساليب المهمة في التربية وفي التعامل مع الناس لم يعدهم بالعفو فقط؛ بل وعدهم بإعطائهم حمل بعير بدلاً منه، وأكد لهم الوعد، ﴿ وَلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾، وهو دليلٌ على أن الغرض ليس اعتراف جاني، ولكن المهم اصلاح ما أفسده وتشجيعه على التخلص من الذنب[91].

ثم سألهم ما جزاء السارق، حيث قال تعالى:﴿ قالُوا فَما جَزاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ ﴾ يوسف74، أي ما جزاء السارق، فردوا على السؤال:﴿ قالُوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ يوسف75، أي من سرق يسترقه صاحب المال، ويظهر أن ذلك كان حكماً مشهوراً بين الأمم أن يسترق السارق[92].

فبدأوا بتفتيش الأوعية: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخِيهِ ﴾ يوسف76، ثم التي تفيد التراخي: ﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَها مِنْ وِعاءِ أَخِيهِ ﴾، وهنا ثبتت التهمة على أخيه فطلبوا منه ان يأخذ واحداً بدله لأن له أب ينتظر فيع، وقد أعطوه عهداً بالرجوع به فقال يوسف لأخوته: ﴿ قالَ مَعاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ ﴾ يوسف79، ولما عاينوا استخراج الصواع قالوا: ﴿ قالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِها لَهُمْ ﴾ يوسف77، فهذا الاتهام أثار في نفس يوسف – عليه السلام – انفعالات ولكنه كتمها داخل نفسه، وقال: ﴿ قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً ﴾، لأنهم جاءوا بقصة كاذبة، بأن يوسف أكله الذئب [93]، وأرادوا أن يسترحموه بقولهم: ﴿ قالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف78، وهذه لفتة منهم بتليين قلبه؛ ولكن سيدنا يوسف–عليه السلام– رجل عادل فقال:﴿ قالَ مَعاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظالِمُونَ﴾ يوسف79، فأراد أن يحقق الحق ولم يقل: معاذ الله أن نأخذ إلا من سرق، لأن في الحقيقة بنيامين لم يسرق، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب، قال الألوسي:(ليحقق الحق، والاحتراز عن الكذب في الكلام)[94].

ويُستفاد من هذا ما يأتي:

1 . إن الحيلة الشرعية هي من نحو الكناية والتعريض، وشريطة أن يتوصل بها إلى القصد والصواب إذ لم تخالف الشريعة ولا هدمت أصلاً، خلافاً لأبي حنيف في تجويزه الحيل وإن خالفت الأصول[95].

2 . اللسان ما لم يحفظه صاحبه فقد يورده الهلكة في الدنيا، وقد يكبه في النار على وجهه في الآخرة، فأخوة يوسف نالوا منه في هذا المقام وهم لا يشعرون.
3 . الإنسان لا يحل له أن يشهد إلا بما علم، لقولهم: ﴿ وَما شَهِدْنا إِلاَّ بِما عَلِمْنا﴾ يوسف81.

التناجي في تدبير الأمر الذي يلقون به أباهم:

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ يوسف80، هذه الآية تصور مشهداً عجيباً، فقد حاولوا معه ولكن لا فائدة، فلما بلغوا حد اليأس، خلصوا أي: انفتلوا ورجعوا من عند الوزير منكسري رؤوسهم يتمتمون، فهي آية عجيبة ومشهد تمثيلي عجيب، يقول الثعالبي: (من أراد أن يعرف جوامع الكلم ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار ويحيط ببلاغة الإيماء ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علوه على سائر الكلام)[96]، إلى أن قال في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ يوسف80، هذه صفة اعتزالهم لجميع الناس وتقليبهم الآراء ظهراً لبطن وأخذهم في تزوير ما يلقون به أباهم عند عودهم إليه وما يوردون عليه من ذكر الحادث فتضمنت تلك الكلمات القصيرة معاني القصة الطويلة[97]، ثم بعد المشاورة الطويلة في ماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم برز واحد منهم وهو الأكبر حيث قال: ﴿ قالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ يوسف80، أي: ألستم تعلمون أن والدكم واثقكم بالله لا تفرطوا فيه، فإني لا أغادر مكاني حتى يأتيني أذن من أبي بالعودة[98]، فلمّا رجعوا إلى أبيهم أخبروه بالحقيقة، فقالوا له:﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ يوسف81، واعتذروا له بأنهم لم يكن لهم اطلاع على الغيب:﴿ إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾، وكان رد الأب الذي لم يقاطع ولم يرفع صوتاً، بل انتظر فراغهم، ثم قال كلمة هادئة تنم عن صبر جميل وعقل رجيح، فقال:﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ يوسف83، أي: ليس الحق كما ذكرتم، والسبب في الشك فيهم لأنه سبق أن خانوه في يوسف وفرطوا فيه، ثم قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يوسف83، والصبر الجميل هو الصبر الذي ليس معه تأفف، وهذا الرجل لم ييأس من روح الله تعالى فقال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ يوسف83، ثم جلس في ركن وهجرهم كما يصف ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى:﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ يَا أَسَفى عَلى يُوسُفَ ﴾ يوسف83، وهنا نستغرب عندما قال:﴿ يَا أَسَفى عَلى يُوسُفَ ﴾، ولم يقل: يا أسفى على بنيامين؟ فيبدو أن الحزن الجديد هاج وبعث الحزن القديم، قال في المحاسن: (الأسف أشد الحزن والحسرة على ما فات، وإنما تأسف على يوسف دون أخويه، والحادث رزأهما. والرزء الأحدث أشد على النفس، وأظهر أثراً؛ لأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده، فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به، ولأنه لم يُزل عن فكره، فكان غضاً طرياً عنده)[99]، ثم أخبر الله تعالى عن تغير أصاب يعقوب – عليه السلام – جراء الأثر النفسي فقال تعالى:﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ يوسف84، وهذا اخبار بفقد القدرة على الإبصار[100]، فهو لم ينسَ حتى لحظة واحدة الحزن.

ويستنبط من هذه الآيات الآتي:

1 . الشورى كانت دندن أبناء يعقوب-عليه السلام- فقد تشاورا على التخلص من يوسف، وفي هذه المرة قلّبوا الأمر ثم استقروا على رأي واحد.
2 . الله سبحانه وتعالى يبتلي أنبياءه وأصفياءه بالشدة والرخاء[101].
3 . جواز اتهام البريء لملابسات أو تهمة سابقة[102].

عاقبة التقوى والعمل الصالح:

قال تعالى:﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ يوسف87، فقد وصاهم الأب الواثق بالله تعالى ألا ييأسوا من روح الله، وأن يتحسسوا من أخويهم، ويتحروا الأخبار، فخرجوا من عنده وليس لهم ما يعتمدونه إلا الله تعالى، فلمّا لقوا العزيز قالوا:﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ يوسف88، فرجعوا منكسرين وبدأوا يبذلون ماء وجههم وعفتهم ليوسف-عليه السلام- فانكسروا له؛ فهذه عاقبة العدوان منهم ليوسف، وهذه عاقبة التقوى له، يقول الشعراوي:(فكأنّما بلغ الحال بأولاد يعقوب-عليه السلام- أن أصابهم الضر، حتى إنهم لم يعد عندهم البضاعة الجيدة... وطلبوا من يوسف أن يعطيهم ثمناً أكثر لهذه البضاعة فيقولون له:﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ يوسف88، فقد طلبوا منه شيء يشبه الصدقة، ولذلك يقول الحق: ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف88[103]، وكأنهم هنا يقولون: ارحموا عزيز قوم ذلّ، يقول القشيري: (كأنهم قالوا: إن لم نستوجب معاملة البيع والشراء، فقد استحققنا العطاء على وجه المكافأة والجزاء)[104].

ايثار حق الله تعالى على حق النفس:

لما رأى سيدنا يوسف حالهم رقّ لهم، فليس السياق سياق محاسبة، فعفا عنهم، قال تعالى:﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يوسف92، وهو درسٌ لذوي الأحقاد، فبعد كل ما ناله منهم عفا عنهم، وقد طلب منهم الذهاب بقميصه إلى أبيه بعد سؤاله عنهم وقولهم له قد ذهب بصره، فأعطاهم القميص ليذهبوا إلى أبيهم، قال تعالى:﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾ يوسف93[105].

تحقيق رؤيا سيدنا يوسف – عليه السلام – وتمام المنّة:

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ يوسف99، هذه قمة تمام النعمة بالتئام الشمل أشد ما يكون التئاماً، وإنه التئام مع امتلاء القلوب بالمودة والتصافي والبر، وهي قصة عجيبة فعلاً في نسقها وترتيب أحداثها، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا﴾ يوسف100، ومن تمام البر أن لا يعتبر نفسه في حضرة والديه هو العزيز، وهذا من خلقه العظيم، ورفع أبويه على سدة الحكم، وقال يوسف مخاطباً أباه: يا أبتِ هذا تأويل رؤياي قد حققها الله تعالى، وأوصلها إلى ظهورها في الواقع بعد أن كانت خيالاً في النفس

والغيب، ثم خُتمت الآية كلامه كما كانت تختم كل آية أو أغلبها بالخاتمة الإيمانية التي ترد كل حدث إلى الله تعالى[106]:﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ يوسف100.

وبعد هذه الرحلة الطويل المليئة بالجراح والأفراح، وإذا بيوسف – عليه السلام – يدعو بهذا الدعاء المأثور ويقول:﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يوسف 101 [107].

هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به ربه عزّ وجلّ لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه وإخوته وما منّ الله به عليه من النبوة والملك سأل ربه عزّ وجلّ أن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه وأن يلحقه بالصالحين، وهم إخوانه من النبين والمرسلين صلوات الله وسلامه عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ [108].

فهذه هي قصة يوسف – عليه السلام – وهذه هي محنته وما خلصت إليه من توفيق من عند الله تعالى بعد صبر طويل ومثابرة وثقة بالله تعالى، وما هذا إلا فضل من الله تعالى يَمُنُ به على من يشاء من عباده المتقين الصابرين على أوامره ونواهيه، والله لا يضيع أجرَ من أحسن عملاً.

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي علّمنا الحمد، وعلّمنا كيف نحمدهُ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد يسّر الله تعالى وأعان على الوصول إلى خاتمة بحثي هذا، وهذا ليس إلا من توفيقه وتيسيره، وقد قمتُ بقراءة هذه القصة العجيبة الفريدة من نوعها؛ لأنها القصة الوحيدة التي وردت كاملة في سورة واحدة، وتجولتُ فيها تجول القاريء المتفحص لها، وهي قصة يوسف–عليه السلام– فهي مدرسة وجامعة تخرج منها يوسف وتتلمذ على منهجيتها سيدُنا محمد ﷺ، إنه القرآن كلام الله تعالى فيه العزّة والكرامة إذا تدبّرت معانيه وعملت بمقتضاه.

إنها قصة يوسف التي جاءت تسلية وتثبيت لرسولنا الكريم ﷺ، وعلّمتنا كيفية الصبر وعدم التسرع في الحكم على قضاء الله تعالى وقدره؛ لأن الإنسان بطبعه عجول، فهي بحق مدرسة حياة وتعليم للإنسان الخلق الكريم الحسن.

وها أنا ذا أُشِكُ أن أضع قلمي بعد جهد المقل، ورحلة على ضعف، وقد طرقتُ في بحثي هذا طريقة التفسير الموضوعي الذي يُعنى بجمع الآيات التي تتحدث عن موضوع واحد، سواء أكان ذلك من خلال القرآن كله أو من خلال سورةٍ واحدة.

ومما يُسطّر في نهاية هذا البحث أمور أهمها:

1 . إن القصص القرآني عبرة يعتبر بها المؤمنون، فيثبتون على إيمانهم ويواصلون تقواهم لربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

2 . إن القرآن الكريم مفصل لكل شيء، وهذا شاملٌ لجميع ما يحتاجه الخلق في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة، وفي دينهم ودنياهم، وهو هدى ورحمة لقوم يؤمنون، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام.

3 . إن الدارس لسيرة وحياة الصديق يوسف – عليه السلام – وسيرة وحياة سيدنا محمد ﷺ ليجد فيها من المتشابهات، وهذا يدل على تأثير سيرة سيدنا يوسف – عليه السلام – في حياة سيدنا محمد –ﷺ–، ومن هذه المتشابهات ما يلي:

أ . الفتن من الأهل والأقارب كانت واضحة في حياة الرسولين عليهما السلام.

ب . مقابلة صانعي الابتلاءات ومدبريها ضد الرسولين بالمسامحة منهم والعفو عنهم والصبر على خطياهم.

ج . بعد تحقيق النصر من الله والكرامة منه كان موقف الرسولين متشابها، فكل منهما عبر عن الذلة والتواضع لله تعالى والاعتراف بفضله.

4 . بيان سنة الله تعالى في تأخر النصر على رسله وعباده المؤمنين زيادة في الإعداد والتمحيص، ثم يأتي نصر الله تعالى فيعز أولياءه ويذل أعداءه.

5 . إن يوسف – عليه السلام – عندما أوّل رؤيا الملك استطاع وضع أسس نظرية وعلمية لإدارة الأزمات في كافة المجالات وعلى كل المستويات.

وبعـــــــــــــد:

هذا كل ما استطعتُ أن أقدمه في بحثي هذا، فأرجو من الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، فإن كان فيه نقصٌ فهو منّي، وإن كان فيه كمال فهو توفيق من الله تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الكريم.

الهوامش

[1]– انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط2، 1366 هـ ـ 1947 م، نشر: دار المنار ـ القاهرة، 250/12 وتفسير القران الكريم، الشيخ محمود شلتوت، ط12، 1424 هـ ـ 2004 م، نشر: دار الشروق ـ القاهرة. ص: 76، والتفسير الحديث، محمد دروزة، ط2، 1421 هـ ـ 2000 م، نشر: دار الغرب الإسلامي، 7/4.

[2]– انظر: السيرة النبوية، علي الصلابي، ط 4، 2012 م، دار ابن الجوزي ـ القاهرة، 207/3.

[3]– الحديث أخرجة الحاكم في المستدرك، وصححه، ووافق عليه الذهبي، حديث رقم: 3377، ط1، 1417هـ ـ 1997م، نشر: دار الحرمين، القاهرة.

[4]– انظر: التفسير الحديث، ترتيب السور حسب النزول، محمد دروزة، ط2، 1421 هـ ـ 2000م، نشر: دار الغرب الإسلامي، 7/4.

[5] – انظر: تفسير المراغي، ط1، 1365هـ – 1946م، نشر: مصطفى البابي الحلبي ـ مصر،2546/1، وانظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبه الزحيلي، ط10، 1430هـ ـ 2009م، نشر: دار الفكر ـ دمشق، 516/12.

[6] – انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، نشر: دار الشروق . القاهرة، 1950/4، وانظر: تيسير اللطيف المنان، عبدالرحمن السعدي، ط1، 1422هـ، نشر: وزارة الشؤون الإسلامية المملكة العربية السعودية، 475/1.

[7] – المرجع السابق نفسه.

[8] – انظر: التفسير المنير، وهبه الزحيلي، 534/12.

[9] – انظر: قصص الانبياء، الشيخ متولى شعراوي، ط1، 1426 هـ – 2006 م، نشر: دار القدس. صـ160.

[10] – المعجم الكبير الطبراني، 228/3، من حديث حارثة بن نعمان، تحقيق: حمدي عبد المجيدي السلفي، نشر: مكتبة الزهراء. الموصل، 1404هـ – 1983م.

[11] – شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، ط1، 1410هـ، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، 277/5، وانظر: السلسة الصحيحة، الألباني، وقال رُوِي من حديث معاذ بن جبل، وعلي بن ابي طالب، نشر: مكتبة المعارف– الرياض، 1415هـ – 1995م، 436/3.

[12] – انظر: يوسف بن يعقوب عليه السلام منهج جديد لدراسة قصص الأنبياء والمرسلين، أحمد عزالدين خلف الله، ط1، 1398هـ – 1978م، نشر: مطبعة السعادة، ص: 39.

[13] – انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، 1420هـ – 1999 م، نشر: دار طيبة، 371/4.

[14] – انظر: الأثر ذكره البغوي في معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وأخرون، نشر: دار طيبة الرياض، 1411 هـ، 214/4.

[15] – انظر: تفسير المراغي، ط1، 1365هـ – 1946م، نشر: مصطفى البابي الحلبي . مصر، 116/12.

[16] – المرجع السابق نفسه.

[17] – تدبر سورة يوسف، ناصر العمر، ط1، 1436 هـ . 2015 م، نشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، ص: 31 .

[18] – انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، 1420هـ .2000م، نشر: مؤسسة الرسالة، وانظر: البحر المحيط، ابن حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، ط 1، 1413هـ – 1993م، نشر: دار الكتب العلمية . بيروت، 282/5، وانظر: التفسير المنير، د. وهبه الزحيلي، 543/12.

[19] – يوسف بن يعقوب عليه السلام منهج جديد لدراسة قصص الأنبياء والمرسلين، أحمد عزالدين خلف الله، ط 1، 1398 هـ – 1978 م، نشر: مطبعة السعادة، ص: 167.

[20] – تفسير المراغي، 118/12

[21] – المجالسة وجواهر العلم، الدينوري، مشهور بن حسن، نشر: دار ابن حزم، بيروت . لبنان. 485/3،

[22] – انظر: قصص الانبياء، الشيخ متولي شعراوي، ص: 167 .

[23] – انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، ط2، 1384هـ – 1964 م، نشر: دار الكتب المصرية – القاهرة . 131/9

[24] – انظر: يوسف بن يعقوب عليه السلام، أحمد عز الدين، ص: 51 .

[25] – انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ط1، 1401هـ – 1981م، نشر: دار الفكر، بيروت . لبنان، 100/18.

[26] – انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 265/12

[27] – انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 102/18، وانظر: قصص الأنبياء، الشيخ الشعراوي، ص: 171–172 .

[28] – انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 103/18.

[29] – انظر: حيلة الأولياء، الأصبهاني، ط4، 1405هـ، نشر: دار الكتاب العربي . بيروت، 313/4، وانظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، نشر: الدار التونسية للنشر. تونس، 1984 م، 236/12.

[30] – انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 1975/4 – 1976.

[31] – انظر: قصص القرآن، الشيخ الشعراوي، ص: 175.

[32] – انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 214/12.

[33] – انظر: تدبر سورة يوسف، ناصر العُمر، ص: 30.

[34] – يوسف بن يعقوب، أحمد عز الدين، ص: 39.

[35] – انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 218/12.

[36] – قطعة من حديث الاسراء، أخرجة مسلم في الايمان من حديث أنس بن مالك، باب: الإسراء برسول الله – ﷺ – 145/1–146، حديث رقم: 162، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي . بيروت.

[37] – انظر: روح المعاني، الألوسي، نشر: دار إحياء التراث العربي . بيروت، 203/2،

[38] – تفسير المراغي، 124/12.

[39] – انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضى، 272/12.

[40] – انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، 262/4.

[41] – الحديث أخرجة البخاري في صحيحة من حديث أبي هريره، كتاب الإستقراض، باب "مطل الغني ظلم"، حديث رقم : 2400، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة ط1، 1422هـ، نشر: دار طوق النجاة.

[42] – انظر: البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، 293/5.

[43] – أمراض القلوب وشفائها، نشر: المطبعة السلفية . القاهرة، مصر، 1399هـ، ص: 26.

[44] – البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، 294/5–295.

[45] – انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، نشر: دار الجيل . بيروت، 1973م، ص: 178.

[46] – الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الإستقراض، باب لصاحب الحق مقالا، حديث رقم: 2401.

[47] – انظر: الجواب الكافي، ابن قيم الجوزيه، نشر: دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان، صـ 148 – 149.

[48] – المرجع السابق، صـ149.

[49] – تفسير المراغي، احمد المراغي، 143/12.

[50] – انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم الجوزية، نشر: دار الكتب العلمية . بيروت، لبنان، ص: 459 1412هـ – 1992 م، وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، ط 3، 1426هـ – 2005م، 130/15.

[51] – فوائد مستنبطة من قصة يوسف، عبدالرحمن السعدي، تعليق: أشرف عبد المقصود، ط1، 1420 هـ . صـ32.

[52] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، ط3، 1426 هـ – 2005 م، نشر: دار الوفاء، 132/15.

[53] – انظر: سورة يوسف دراسة تحليلية، أحمد نوفل، ط1، 1409هـ – 1989م، نشر: دار الفرقان . عمان، الأردن، ص: 386،

[54] – لطائف الاشارات، تحقيق: إبراهيم بسيوني، نشر: الهيأة المصرية العامة للكتاب، 184/2.

[55] – المرجع السابق، 185/2 .

56 – انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضى، 304/12–305.

[57] – انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 306/12، وانظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 1989/4.

[58] – الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: أهل العلم و الفضل أحق بالإمامة، حديث رقم: 678.

[59] – انظر: تدبر سورة يوسف، ناصر العمر، ص: 53.

[60] – المرجع السابق، ص: 55.

[61] . انظر: الإدارة في سورة يوسف، نايف شعبان، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الإسلامية . غزة، كلية أصول الدين، قسم: التفسير وعلوم القرآن، إشراف: عصام العبد محمد زهد، 1430هـ – 2009م، ص: 205، وانظر: فوائد مستنبطة من قصة يوسف، عبد الرحمن السعدي، ط1420،1هـ – 2000 م، نشر: مكتبة أضواء السلف – المملكة العربية السعودية، ص: 16.

[62] . الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 9 / 198 .

[63] . انظر: سورة يوسف دراسة تحليلية، أحمد نوفل، ط1، 1409هـ – 1989م، نشر: دار الفرقان . عمان، الأردن، ص: 409.

[64] . المرجع السابق، ص: 430 .

[65] . الحديث أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ ، حديث رقم: 3387، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، حديث رقم: 238.

[66] . انظر: قصة يوسف عليه السلام ، محمود المصري، ط1429،1هـ – 2008م، نشر: مكتبة الصفاء، ص: 202 .

[67] . انظر: تدبر سورة يوسف، ناصر العمر، ص: 62، وانظر: قصة يوسف عليه السلام، محمود المصري، ص: 202.

[68] . المرجع السابق، ص: 319 – 320.

[69] . انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 13 / 5.

[70] . سورة يوسف دراسة تحليلية، أحمد نوفل، ص: 432.

[71] . انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، نشر: دار الكتب العلمية – لبنان – 1413هـ . 1993م، 3 / 261.

[72] . انظر: قصة يوسف عليه السلام، محمود المصري، ص: 208 – 209.

[73] . انظر: تفسير المراغي، 13 / 15، وانظر: تدبر سورة يوسف، ناصر العمر ، ص: 63 – 64.

[74] . التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 13 / 7.

[75] . انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 4 / 2004.

[76] . انظر: تفسير المراغي، 13 / 5.

[77] . انظر: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ط1، 1422هـ – 2002م، نشر: دار التراث القاهرة، 2 / 711 – 712.

[78] . انظر: تفسير المراغي، 13 / 11.

[79] . سورة يوسف دراسة تحليلية، أحمد نوفل، ص: 467.

80 . انظر: يوسف بن يعقوب، أحمد عز الدين، ص: 370.

81 . التحرير والتنوير، ابن عاشور، 13 / 12.

[82] . انظر: زاد المسير، ط3، 1404هـ، نشر: المكتب الإسلامي . بيروت، 4 / 251.

[83] . انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 9 / 225.

[84] . انظر: نظم الدرر، البقاعي، ط2، 1424هـ – 2002م، نشر: دار الكتب العلمية . بيروت، 4 / 111.

[85] . انظر: تدبر سورة يوسف، ناصر العمر، ص: 72، وانظر: أيسر التفاسير، أبوبكر الجزائري، ط3، 1410 هـ . 1990 م، نشر: مكتبة راسم، المملكة العربية السعودية، 629/2.

[86] . انظر: سورة يوسف دراسة تحليلية، أحمد نوفل، وانظر: قصص الأنبياء، متولي شعراوي، ص: 215.

[87] . لطائف الإشارات، 194/2.

[88] . انظر: قصة يوسف، محمود المصري، ص: 250.

[89] . انظر: يوسف بن يعقوب، أحمد عز الدين، 386.

[90] . التحرير والتنوير، ابن عاشور، 29/13.

[91] . تدبر سورة يوسف، ناصر العمر، ص: 74 – 75.

[92] . انظر: سورة يوسف دراسة تحليلية، أحمد نوفل، ص: 497 – 498.

[93] . انظر: قصص الأنبياء، متولي الشعراوي، ص: 218 – 219.

[94] . روح المعاني، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، 13 / 34.

[95] . انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 9 / 236 .

[96] . انظر: الإعجاز والإيجاز، ط3، 1405هـ – 1985م، نشر: دار الغصون . بيروت، لبنان، ص: 10.

[97] . المرجع السابق، ص: 13.

[98] . انظر: يوسف بن يعقوب، أحمد عز الدين خلف، ص: 416.

[99] . محاسن التأويل، القاسمي، ط1 ، 1376هـ – 1957م، تخريج: محمد فؤاد عبد الباقي، 9 / 3582.

[100] . انظر: تدبر سورة يوسف، ناصر العمر، ص: 82.

[101] . فوائد مستنبطة من قصة يوسف، عبد الرحمن السعدي، ص: 49.

[102] . انظر: قصة يوسف عليه السلام، محمود المصري، ص: 274.

[103] . انظر: قصص الأنبياء، الشعراوي، ص: 227 – 228.

[104] . انظر: لطائف الاشارات، 202/2.

[105] . انظر: تفسير المراغي، 36/13.

[106] . انظر: سورة يوسف دراسة تحليلية، أحمد نوفل، ص: 547 – 548.

[107] . انظر: قصة يوسف عليه السلام، محمود المصري، ص:321.

[108] . مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط7، 1402هـ – 1981م، نشر: دار القرآن الكريم، بيروت . لبنان، 263/2.